فصلية علمية - محكمة نصف سنوية، دراسات حديثة في نهج البلاغة،
السنة الأولى، العدد الأول (المتوالي ١)، خريف وشتاء ١٣٩٦ش.
١٤٣٩ق. (٤٧ - ٣٥)

Biannual Journal *Current Studies in Nahj al- Balaghah.*
Vol. 1, No. 1, Autumn & Winter 2017 (35-47)

توثيق نهج البلاغة وتأريخه على ضوء المعايير الأدبية والبلاغية:
دراسة تحليلية لأول بحث غربي منهجي حول نهج البلاغة

علي حسن‌نيا
أستاذ مساعد في قسم العلوم القرآنية والحديث بجامعة شاهد، إيران. (a.hasannia@shahed.ac.ir)
تأريخ الاستلام: ١٤٣٨/١١/٦ تأريخ القبول: ١٤٣٩/١/٤

Nahj-ul-Balagha's Vocabulary and Literature:
Analytical Study of the First Systematic Research in the West

Ali Hasannya
Assistant Professor, Department of The Qur'an and Hadith, Shahed University (a.hasannia@shahed.ac.ir)
Received: 26/September/2017 Accepted: 9/October/2016

الملخص

دخلت دراسات المستشرقين حول حديث الشيعة مجالات تخصصية وجديدة، وذلك بالتزامن مع انتصار الثورة الإسلامية، وبالتحديد في العقدين المنصرمين، فأصبحت تغطي جانبا واسعا من الدراسات التي تدور حول الحديث الشيعي وتفسير نص الروايات ودراستها، فقد كانت دراسة «التحليل الانتقادي لنهج البلاغة» منطلقا لتلك الأبحاث، كما شكلت منعطفا في قضية نهج البلاغة في مراكز الغرب العلمية، ونظرا إلى المساعي الثمينة التي بذلت في تلك المجالات، أصبحت نهج البلاغة لافتة لنظر الباحثين. إنّ تقديم تأريخ موثوق به حول نهج البلاغة واستعادة تلك الوثائق التي لم تلتف إليها الأنظار وبقت مغفولة، في النصوص العربية القديمة، ومَعرفَةِ مفردات الخطب والرسائل في الأشعار والنصوص المنثورة الجاهلية، والدراسة المقارنة بين مفردات القرآن الكريم ونهج البلاغة، ونقل أفكار العلماء المتأخرين والمتقدمين وتحليلها، والتركيز على الشبهات التي تدور حول نهج البلاغة، وبذل المساعي للإجابة عليها، وأخيرا تقديم قضايا منتظمة، بصفتها أول المساعي في الأجواء العملية الغربية في هذا المجال؛ كل تلك القضايا تعد من القضايا اللافتة للنظر والمهمة في هذا الكتاب الذي نريد النظر فيه. يحاول هذا البحث أن يلقي نظرة على مسار الأبحاث التي أجريت على يد الغربيين في مجال حديث الشيعة بإيجاز، ثم يقوم بدراسة البحث المذكور وتحليله، ويخضعه للنقد.

الكلمات المفتاحية: التوثيق، المستشرقون، نهج البلاغة، محمد وارث حسن، البحث التحليلي.

Abstract

Along with the Islamic revolution of Iran in 1979, orientalists carried out detailed studies on new areas of Shiite Hadith and its literature, particularly over the past two decades. The critical study of Nahj-ul-Balagha by Sayyed Mohammad Waris Hassan is considered as the beginning and turning point of studies on Nahj-ul-Balagha in western academic centers, which has attracted considerable attention from researchers in this field. The distinguished and notable features of his study include documental dating of Nahj-ul-Balagha, recovering the neglected documents of Nahj-ul-Balagha in classical and early Arabic texts, finding vocabularies of sermons and letters in pre-Islamic prose and poetry, comparing the words used in the Quran and Nahj-ul-Balagha, quoting and analyzing the ideas of early and late scholars, considering the misconceptions about Nahj-ul-Balagha and giving reasonable answers to them, and finally, presenting a systematic discussions, as the first effort done in this area in the west. The present study briefly traced the evolution of western literature on Shiite Hadith. Then it reviewed, analyzed, and criticized the study of Sayyed Mohammad Waris Hassan.

Keywords: Validity testing and dating, Orientalists, Nahj-ul-Balagha, Mohammad Waris Hassan, Analytical Study.

المقدمة

إنّ الدراسات الحديثة التى أجراها المستشرقون لها نطاق واسع. فكانت دراسة آراء مختلف الفرق والمذاهب الإسلامية وبالتحديد الشيعة والسنة منها، محط اهتمامهم، فنشروا مئات الأبحاث والكتب والدراسات طوال الأعوام المنصرمة. وفى أيامنا وفى المكتبات التخصصية، زاد عدد كتبهم فى مجال الحديث، حتى أصبحت دراساتهم تشكل فرعا علميا عند المسلمين فركزوا عليها. ثم إنّ نقد آثارهم إلى جانب الأبحاث المعاصرة بصفتها نظرة من خارج أسوار الدين إلى الدين، ومعرفة الهواجس والشبهات والقضايا العلمية وما آلت إليها دراسات المستشرقين من نتائج، ودراستها دراسة ممنهجة وبنيوية، أصبح يشكل ضرورة علمية وبحثية. إنّ الكثير من دراسات المستشرقين تعانى من نقاط ضعف عديدة، منها غياب الاعتماد على المصادر الرئيسية للشيعة وللسنة، والانطلاق من مواقف مغرضة، وبث الشبهات، والتأثر بتيارات الاستشراق، والجري وراء تحقيق مصالح سياسية وحكومية (حسن‌نيا، ٢٠١٦: الفصل الخامس).

إنّ الدراسات الحديثة للمستشرقين بمفهومها العام، تعاملت مع النصوص السنية فى الغالب، لكن نشاهد فى القرن الراهن انطلاقة رؤية جديدة فى مجال دراسات حديث الشيعة، هذه التطورات نمت نموا كبيرا بعد انتصار الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩، وانطوت على دراسات واسعة النطاق وخاصة فى العقدين المنصرمين، وتمحورت حول حديث الشيعة، ودراسة النصوص الروائية وتحليلها. تدل الأبحاث على أنّه رغم المساعى الجديرة حول معرفة دراسات المستشرقين فى مجال القرآن الكريم والدراسات المهتمة بالحديث بشكل عام، واهتمام الكثير من الباحثين داخل البلاد بهذه القضية (م. ن: قسم ١-١-٢)، لكنه لم يُهتَمّ بمجال معرفة الدراسات المتزايدة للغربيين حول حديث الشيعة، فلا نشاهد الكثير فى هذا المجال.

إنّ معرفة تلك الدراسات، وتقييمها، وتحليلها ونقدها، يعانى من مشكلات كثيرة، فالدراسات المنجّزة داخل البلاد جاءت أغلبها فى مجال ترجمة عدد قليل من تلك الآثار، وانصبت المحاولات حول الشهيرة منها، ويؤسفنى القول بأننا نشاهد في تلك الترجمات الكثير من المشاكل، منها عدم المراجعة إلى النص الرئيس، والاكتفاء بالترجمة العربية أو الإنجليزية، إضافة إلى ضعف الترجمة نفسها. أما فى مجال نقد الكتب الغربية، لم نشاهد عملا كبيرا أو كتابا مهما، ما عدى الاهتمام بعدة نماذج مهمة وبارزة، رأت النور فى السنوات الأخيرة.

فى هذا المقال، نركّز الاهتمام على دراسة إحدى تلك المساعى القيمة والجديرة التى أُنجِزَت فى الغرب، ونضعها فى ميزان النقد والتقييم. تُعتَبَرُ الدراسة التى نرنو النظر فى ثناياها من أول المساعى التى أنجزتها المؤسسات والمراكز الأكاديمية الغربية. هذه المساعى العلمية أنجزت على يد عالم مسلم شيعى، وفى إحدى المراكز الغربية المهمة فى مجال معرفة الشيعة والإسلام فى يومنا هذا.[١] ألف الكتاب فى أولى سنوات انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية بعام ١٩٧٩، ومن الناحية التأريخية يحتل أهمية خاصة إضافة إلى المجال التخصصي الذي كُتِبَ فيه.

خلفية الدراسات الغربية في مجال حديث الشيعة

١. الدراسات الشيعية عند الغربيين

تعود معرفة الغربيين للشيعة إلى فترة الحروب الصليبية فى القرون الوسطى، ثم وبعد أن فُتِحَت أبواب العلاقات التجارية والسياسية بين الدول الأوروبية وإيران فى العهد الصفوي، وتوفرت الأرضية لزيارة السُّيّاح إلى إيران، سنحت الفرصة لتعرُّفهم على جانب من أفكار الشيعة وقادتهم وتقاليدهم وطقوسهم وانتماءاتهم، فقام بعض السُّيّاح بكتابة ما شاهدوه وخرجت هذه المحاولات فى إطار التقارير (م. ن: ٣-١).

بدأت الدراسات الجامعية فى مجال معرفة الشيعة فى أوروبا بعد إنشاء كرسى اللغة العربية فى جامعة أكسفورد[1] (فى بريطانيا) وكذلك لايدن[2] (فى هولندا) فى النصف الأول من القرن السابع عشر (Kohlberg, 1987: 40)[٢] إنّ تلك الدراسات استمرت فى القرن اللاحق لها مع أنها كانت متفرقة، لكنها بلغت ذروتها عندما اقتضت مصالح الدول الاستعمارية الغربية فى الشرق الأوسط، تنظيم الدراسات الممنهجة والمستمرة في مجال الإسلام والمذاهب الإسلامية، بغية معرفة

1. Oxford
2. Leiden

تلك المجتمعات معرفة دقيقة (تقی‌زاده‌داوری، ١٢: ٢٠٠٧؛ زمانی ،٢٠٠٩: مقدمة كتاب).

تعود بداية الدراسات المنتظمة والجدِّية فی مجال التشيع إلى الستينات من القرن المنصرم، إذ انتشرت نصوص كثيرة فی النجف الأشرف وإيران، كما انطلقت دراسة تأريخ إيران فی العهد الصفوي والقاجاري، نظرًا إلى استخدام الآلية التی منحتها العلوم الاجتماعية إلى الباحثين، والاهتمام بحذافيرها، (Kohlberg, 1987: 40) يقول اتان كلبرج[1] المستشرق اليهودي الشهير والباحث فی مجال الشيعة: إنّ الإسلام الشيعی بقی لفترة طويلة للكثير من الباحثين لغزًا؛ فلم يكن بحوزتهم معلومات كثيرة عن هذا المذهب، وإن كانت فمصدرها هو المصادر السنية والمتبعثرة. تغير الوضع فی منتصف القرن التاسع عشر إلى حدٍّ ما، والسبب يعود إلى اعتماد الكثير من الباحثين مثل جولدتسيهر[٣] (١٨٥٠-١٩٢١) ونولدكه[٤] (١٨٣٦-١٩٣٠) فی دراساتهم على المصادر الشيعية والسنية إلى جانب البعض، فخرجوا بمواقف أكثر اتّزانًا. انتشر هذا الموقف بعده فی أوروبا وأمريكا، وقامت أقسام الاستشراق والإلهيات والأديان والتأريخ والأركيولوجية فی إطار مركّز وغير مركّز، بدراسة مختلف جوانب الإسلام وحياة المسلمين، فيما بعد تمّ تقوية ذلك التيار بعد إنشاء كرسی لدراسات الشيعة فی الغرب بشكل تخصصی والقيام بدراسات منتظمة (Kohlberg, 1987: 40).

مما لاشك فيه أنّ الدراسات الشيعية الغربية، بدأت متأخرة مقارنة بالدراسات الإسلامية، وذلك فی السنوات الأخيرة من القرن العشرين، بتأثير من التطورات السياسية-الاجتماعية التی شهدتها كل من إيران ولبنان والعراق، وعرفت الثورة الإسلامية الإيرانية عام ١٩٧٩ منعطفا لتلك الدراسات (حسينی، ١٣٨٨)[٥] بالرغم من تلك المساعی التی شهدتها الفترة المنصرمة، إلا أنّ هذا الفرع مازال فی بداية طريقه، ولهذا لانرى عند الغربيين سجلا شاملا وناصعا حول الدراسات الشيعية (راد، ٢٠١٤: ١٤٤).

ذكر بعض الباحثين سببين لذلك الأمر المهم، وهما «قلّة البحوث والدراسات باللغات الأوروبية حول التشيع الامامی، وصعوبة الحصول على المصادر الأولية لها من جهة وانتشار النظرة الخاطئة التي يتبناها أهل السنة تجاه الشيعة في صفوف المستشرقينمن جهة أخرى»، فجعل السببان الدراسات الشيعية تعيش حالة من التهميش فی الغرب. إنّ السبب الأخير هو الذي جعل الشيعة تعرف فرقة هامشية أو صاحبة البدع فی الفكر الإسلامی، وعدم اعتبار القراءة الشيعية للإسلام قراءة رسمية ومقبولة (م. ن: ١٤٤) يقول اتان كلبرج تقييما منه للدراسات الغربية حول الشيعة: بشكل عام إنّ عدد الدراسات التی تناولت الشيعة الإمامية حتى منتصف القرن العشرين كانت قليلة؛ ذلك أنّ المجلد الأول من مجموعة الفهرس الإسلامی[٢] الذي انتشر فی الفترة الواقعة بين ١٩٠٦ حتى ١٩٥٥ كان قد أفرد صفحتين اثنتين من ٨٢٤ صفحة لفهرسة عناوين المقالات الخاصة بالتشييع الاثنی عشري.[٦] مع أنّ أول المساعی فی تكوين نظرة شاملة وضعها دونالدسون[٣] فی كتابه المسمّی بـ«دين التشيع»،[٤] فی عام ١٩٣٣، لكن تبقی الكتب التی تطرقت إلى هذا الموضوع قليلة (Kohlberg, ibid).

لقد قدم الراحل فلاطوري[٧] (١٩٢٦-١٩٩٦) تقريرا حول حصة الدراسات الشيعية بين الدراسات الإسلامية قبل سنوات، واعتمادا على ما قدمه فإنّ هناك مقالة واحدة تتحدث عن الشيعة الاثنی عشرية بين الأبحاث والكتب التی كتبت حول الإسلام، وهذا العدد أقلّ بكثير من الكتب والأبحاث التی ركّزت الاهتمام على الزيدية والإسماعيلية هذا وكان ما ذهب إليه فلاطوري محل تأكيد فرهاد دفتري[٨] فی مقدمة مجموعة نشرها مؤخرا، تحمل عنوان «دراسة الإسلام الشيعی» تأريخ، والشزيعة وفق. (Daftary, 2013).

ذهب سيد حسين نصر وعند الحديث عن أهمية العلاقة بين الفيلسوف الفرنسی هنري كربون والعلامة سيد محمد حسين طباطبائی؛ بأن غياب العلاقة العلمية الصحيحة بين الباحثين الغربيين، وعلماء الشيعة البارزين، هو السبب الكامن وراء عدم معرفة الغرب للشيعة (Tabatabai, 1975: English Introduction by the Translator).

٢. الدراسات الإمامية عند الغربيين

ليس للدراسات الإمامية أو الدراسات ذات الصلة بالاثنی عشرية

1. Etan Kohlberg
2. Index Islamicus
3. Dwight M. Donaldson
4. *Shi'ite Religion: a History of Islam in Persia and Iraq*

حالة أفضل من الدراسات الشيعية. ألقى كلبرج محاضرة فى مؤتمر «معرفة الشيعة» فى تل أبيب حول الدراسات الغربية للتعرف على الشيعة، وقام بالحديث بالإسهاب عن الدراسات القليلة التى أنجزت حول الشيعة، وخاصة الشيعة الأثنى عشرية، وأنّ تلك الدراسات القليلة جاءت على يد أشخاص يحظون بدعم الحكومات أو المؤسسات غير الحكومية فى السنوات المنصرمة، وهم قد سافروا إلى إيران لأسباب ما؛ إنه يذهب إلى أنّ المساعى التى بذلت فى حقل دراسة النصوص الشيعية وببليوجرافيا كتبها ومعرفة شخصياتها وترجمة نصوصها لاترتقى إلى المستوى المأمول.

إنّه لايستنكر أنّ الدراسات الشيعة الاثنى عشرية تأتى فى المرحلة الثانية من حيث الأهمية مقارنة بالفرق الإسلامية الأخرى، ويتحدث عن المؤتمر الإسلامى فى ستراسبورغ الذي أقيم عام ١٩٦٨ بصفته منعطفا وحادثة فذة فى الدراسات الإمامية، ويرى أنّه بالرغم من التطورات الجوهرية التى شهدها العقد المنصرم، إلا أنّ التشيع لم يحظ بأهمية كبرى فى الدراسات الإسلامية، حتى أرغمت الثورة الإسلامية الجميع بأن يعيد النظر في هذا المذهب (ibid).

٣. الدراسات الحديثية الشيعية فى الغرب

إنّ المساعى الغربية حول الحديث الشيعى تعتمد أساسا على المصادر والآثار السُّنِّية، وحتى السنوات الأخيرة قلما نشاهد من يضع الروايات الشيعية على محك النقد والتحليل أو يقوم بنقلها، يمكن القول أنّ أواسط القرن العشرين قد شكل منطلقا لاهتمام المستشرقين بالحديث الشيعى وبالتزامن مع الدراسات العامة والتأريخية حول الحديث عند المستشرقين. أظهر جيرار له كمت[1] (١٩٢٦-١٩٩٧) فى مقال له عام ١٩٧٠ أنّ الغربيين لايعرفون شيئا عن حديث الشيعة الإمامية (هارالد، ١٩٨٩: المقدمه) لكن الأحوال تغيرت منذ السبعينات من القرن المنصرم، منذ ذلك الحين حاول «اتان كلبرج» أن يقدّم العون إلى هذا الأمر من خلال إلقاء الضوء عليه.

منذ منتصف القرن العشرين، تغيرت بوصلة التغييرات فاتجهت الأنظار نحو معرفة الشيعة وعقائدها وأسسها من بوابة المجموعات الروائية. وسار الغربيون من تلك العملية البطيئة فى معرفة الشيعة بشكل عام، نحو استيعاب الشيعة الاثنى عشرية ومعرفتها، وسعوا إلى معرفة أسسها العقائدية والفكرية، وفي هذه المعرفة دخلوا مجالات أكثر تخصصية تتطرق إلى الروايات الإمامية، بلا شك أنّ مساعى كلبرج قد مثلت منعطفا فى مساعى الباحثين الآخرين، ويمكن اعتبار الآخرين تابعين له، حتى ذهب البعض مثل موتسكى[2] أنّ الباحثين الآخرين كانوا تابعين له كلهم (موتسكى،٢٠١١: ٤١) لايخفى أنّ هذا القول فيه الكثير من المبالغة، لكن كما قلنا سابقا، يمكن أن يصدق القول هذا فى جانب منطلق المساعى المبذولة حول الحديث الشيعى، واعتباره بداية لمساعى الغربيين فى هذا المجال. يصرح «موتسكى» أنّ بداية إعداد الأحاديث غير السنية، تعود إلى القرن الثانى، كأن عملية توحيدها المعياري[3] كانت أطول من روايات أهل السنة (م. ن)

هذا ويعترف بأنه على الرغم من تأكيد الغربيين على الحديث السُّنِّى، لكن هذا لايعنى أنّ الشيعة ورواياتها لم تحظى بأهمية عندهم، ولم يركزوا عليها، فهناك أدلة كثيرة تبين أنّ روايات النبى الأكرم وأهل البيت (ع) ، والصحابة فى القرون الأولى هـ، نقلها كل من الشيعة وأهل السنة والجماعة نقلا متشابها، وثم جمعت بين دفتى الكتب فى المجتمعات التي تنتمي إلى تلك المذاهب.

بداية الاهتمام بأحاديث الإمام على (ع) ونهج البلاغة[٩]

كانت اللغة العربية -حتى فترة متأخرة -مهجورة فى أوروبا، بعد القرن الرابع عشر، سمحت الكنيسة بغية التبليغ وتوحيد صفوف الكنائس الشرقية والغربية، بتأسيس كرسى للغة العربية والعبرية والكلدانية فى الجامعات، ويبدو أنّ ادوارد بوكاك[١٠] كان أول مَن رتب دورات تمحورت حول مدح الإمام على (ع) لطلابه، عام ١٦٣٦ حول اللغة العربية، بمناسبة حصوله على رتبة أستاذ كرسى اللغة العربية، فى جامعة أكسفورد وذلك بعد محاضرة ألقاها باللغة اللاتينية. ثم تولى رئاسة تجار البريطانيين المتجهين إلى سوريا، وبعد تعلم اللغة العربية، أهدى إلى مكتبة جامعة أكسفورد مجموعة كبيرة من النسخ الخطية الثمينة، فيما بعد منحوه رئاسة كرسى اللغة العربية (غضنفري، ٢٠١٥: ١٠٤-١٠٣) تعرفت أوروبا إلى مجموعة من أربعة آثار أخرى من أحاديث الإمام علي (ع) باللغات اللاتينية، بعد أقل من قرن من

1. Gérard Lecomte
2. Harald Motski
3. Standardization

مؤلفيها: بوكاك، كاييز،[1] ولت،[2] ووارنر،[3] ووينن،[4] واستيكل،[5] نشروا مجموعات فى أعوام ١٧٤٥ و١٧٤٨ و١٨٠٦ و١٨٣٤، فى ليدن وأكسفورد باللغة اللاتينية. كما انتشرت المجموعتان الثالثة والرابعة باسم واحد وفصلت بينهما فترة زمنية وهى ثلاثة عقود. هذا ونشر أثران مستقلان آخران، باللغة الإنجليزية قبل تلك الفترة، عام ١٨٠٥ للكاتب وستون[6] فى لندان و١٨٣٢ لـ«وليام يول»[7] فى اسكتلندا، تمحورتا حول أحاديث الإمام على (ع) ونشر فلايشر[8] ترجمته الألمانية *اللالالى ومأة كلمة* عام ١٨٣٧، وهكذا وبعد مرور قرنين من تلك الفترة التى ألقت روح بلاغة كلام الإمام على (ع) بظلها على قلب بوكاك، قدّمت على أقل تقدير خمسة آثار وأربعة ترجمات لاتينية، من أحاديث الإمام على (ع) باللغة الألمانية والانجليزية إلى الدراسات الأوروبية (غضنفري، ٢٠١٤: ١٠٤-١٠٣)

هناك الكثير من الترجمات باللغات الأوروبية وخاصة الإنجليزية، فى مجال ترجمة أحاديث الإمام على (ع) ونهج البلاغة، وذاع صيتُ بعضها، وهناك بعض المترجمين صبوا اهتمامهم على ترجمة خطبة واحدة أو رسالة أو قسم من نهج البلاغة.(١١)

أول دراسة حديثية تخصصية ومنتظمة فى الغرب

قبيل انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية عام ١٩٧٩ وبعده، شاهدنا ظهور كتب مستقلة فى حديث الشيعة بشكل محسوس وتغيير موقف «تجاهل الشيعة وخاصة الشيعة الإمامية»، إلى «دراسة وبحث حول الشيعة»، بصفتها مجموعة عقائدية-سياسية. بعبارة أخرى لم نشاهد حتى انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية أي كتاب مستقل حول الحديث الشيعى والإمامية؛ لكن فى تلك السنوات ركز الجميع اهتمامهم وخاصة الباحثون الغربيون، على الشيعة، والسبب يعود إلى انتصار الثورة الإسلامية وتأثيرها فى إنهاء سلطة الاستعمار الغربي والشرقي. ولو ألقينا نظرة عابرة على العناوين والموضوعات المدونة بعد انتصار الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩ حتى عام ٢٠٠٠ لرأينا تغيير الموضوعات والدراسات فى الأبحاث الغربيين حول الحديث الشيعى. يمكن تقسيم تلك الموضوعات إلى عدة أقسام: الأول؛ الدراسات التى تتطرق إلى الحديث عند الشيعة، وتنظر إلى الأمر بمثابة تيار سياسى-فقهى، وتركز الاهتمام على قضية الجهاد والاثنى عشرية وولاية الفقيه. أما القسم الثانى؛ فهى تلك الدراسات التى وضعت الشيعة الإمامية فى مقابل أهل السنة وتطرقت إلى قضايا مثيرة للنقاش بين الشيعة والسنة، وكذلك التفاسير التأريخية التى تدور حول منطلق الشيعة وعقائدها وتأريخها. فى الحقيقة إنّ مثل تلك الأبحاث تقوم بدراسة الشيعة ومعرفتها معرفة صحيحة، التى أصبح لها الآن حكومة فى إيران.

من جهة أخرى، نحن نريد معرفة الشيعة الأثنى عشرية فى العالم الإسلامى، والتى ينافسها السُّنّة، ومن الضروري دراسة هذه المواجهة وأسسها ومبادئ تحدياتهما. أما القسم الثالث وهو الأقل بروزا مقارنة بالقسمَين السابقين، وظهر لأول مرة فى إطار الدراسات التخصصية وأثار انتباه الغربيين، يأتى فى اطار الاهتمام بالمدونات الحديثية المهمة الشيعية وبالتحديد الشيعة الإمامية. بدأت الدراسات والنقد والنظر فى المدونات الروائية الشيعية بعد سنوات من انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية.(١٢) هذا وأنّ الدراسات تمحورت حول عدة كتب مهمة وأصلية؛ وكانت قد انصبت على نهج البلاغة والصحيفة السجادية، (Chittick, 1987: English Translation) إذ ينطويان على روايات وأحاديث إمامين من أئمة الشيعة وهما على (ع) والسجاد (ع)، حملت واحدة من تلك الدراسات التى نشرت عام ١٩٧٩ فى إحدى أهم مراكز الدراسات الشيعية فى أوروبا؛ وهى جامعة ادينبورج، حملت عنوان: «تحليل نهج البلاغة الانتقادي» وقدمها محمد وارث حسن أطروحة لنيل الدكتوراه. (Waris, 1979 -B).

مع أنّ هذا الكتاب لم يكتب فى إطار تخصصى، لكن يجب أن ننوّه أنّ بداية الدراسات الممنهجة والتخصصية فى إطارها الواسع عند الغربيين، تعود إلى بدايات القرن الواحد والعشرين، فخرجت كتبٌ أكاديمية ومنتظمة على يد الباحثين الغربيين، ولو شاهدنا الدراسات التى أُجريَت حول نهج البلاغة أو الصحيفة السجادية أو الكتب الروائية، لرأينا أنها

1. Gerard Kuypers
2. Gerardus J. Lette
3. Levin Warner
4. Cornelius van Waenen
5. Johann Gustav Stickel
6. William Weston
7. William Yule
8. M. Heinrich Leberecht Fleischer

كانت متفرقة ومتشتتة، ولم نشاهد تيارا بحثيا ومنظما وأكاديميا يقوم بالأمر، هذا وأنّ قضية دراسة الحديث بشكل خاص، فى أغلبية الكتب لم تكن محط اهتمام، كما ينبغى، هذا ودُوِّنت فى الأبحاث المنظمة الجامعية كتلك التى قدمها كلبرج، أو الأبحاث التى قامت بها جامعات بريطانيا من خلال جليو ونيومن ولالانى كتبا فى إطار منتظم وأكاديمى، ركزت على الروايات (حسن نيا، ۲۰۱۵: ألف، قسم ۱-۳).

وبما أنّ تأليف حسن وارث فى تلك الفترة يُعَدُّ أول أثر أكاديمى غربى حول نهج البلاغة وأول دراسة نقدية لمفكر مسلم فى الغرب، دقّقتُ فى ثنايا هذا الكتاب المهم، وبالنظر إلى ما يحمله من ميزات خاصة، التى نتحدث عنها فيما يلى بإسهاب، جدير بنا أن نتطرق إليه.[۱۳]

سيد محمد وارث حسن

يُعَدُّ مولانا سيد محمد وارث حسن النقوي الهندي (ت ۲۰۰۸) من الباحثين والمفكرين الكبار الذين ينتمون الى الشيعة، ذاع صيته فى الغرب أكثر من الشرق. ركز اهتمامه على نهج البلاغة، وعندما كان يدرس فى جامعة ادينبورج فى أسكوتلندا، كتب أطروحته لنيل شهادة الدكتوراه، عنوانها «تحليل نهج البلاغة الانتقادي»، يتكون البحث من ستة فصول، يتطرق الفصل الأول إلى التعريف بنهج البلاغة ودراستها دراسة نقدية، إضافة إلى أهداف الدراسة وملخص من حياة الشريف الرضى الذي قام بجمع نهج البلاغة، وفى الفصل الثانى يلقى الكاتب نظرة أدبية على نهج البلاغة، ويتناول رأى السابقين والمتأخرين حول أصالة الكتاب والأرضية الدينية والسياسية لتلك الانتقادات وإلقاء نظرة عابرة على بعض تفاسير نهج البلاغة. أما الفصل الثالث فإنه ينطوي على أحاديث الإمام الواردة فى الكتب التأريخية القديمة مقارنة بنسخ نهج البلاغة المتوفرة فى يومنا هذا، ويركز الكاتب فى الفصل الرابع على دراسة نهج البلاغة دراسة أدبية، ويأتى ذلك فى إطار مدارسة أدب ما قبل الإسلام والقرآن الكريم. وفى الفصل الخامس يدرس الكتاب نهج البلاغة من منظار علم البلاغة ويتطرق إلى قضايا مثل السجع والمجاز والتشبيه والمقابلة والطباق، علاوة على دراسة نهج البلاغة من منظار خطابه، هذا وخصص الباحث الفصل السادس لخاتمة الكتاب.

وفى نفس العام نشر بحثا بعنوان: «تحليل نهج البلاغة بنيويا» (Waris, 1979 - A)، تطرق فيها إلى أسلوب نهج البلاغة الأدبى، ولا يشكك فى أصالة نهج البلاغة، إذ لايرى ضرورة للتطرق إلى هذا الأمر، من هنا تَطرَّق إلى تحليل فحوى نهج البلاغة، وتحدَّث عن تأثيره على الأدب العربى والإسلامى، ودرس الأساليب البلاغية فى نهج البلاغة كالسجع والاستعارة والتوازن وأنواع الحكم، وذكر نماذج لها وقارنها بنماذج مماثلة من القرآن الكريم (أحمدوند، ۲۰۰۹: ۳۳۹).

تحليل نهج البلاغة النقدي

كان هاجس وارث حسن هو إثبات أصالة نهج البلاغة بالاستفادة من مختلف الأساليب التأريخية والوثائقية والأدبية، ولهذا يركز فى الفصل الأول على التعريف بهذا الكتاب، متحدثا عن الشبهات والأدلة التى قدمها المعارضون لانتساب نهج البلاغة إلى أمير المؤمنين (ع)، وفى مستهل الحديث يشير إلى مكانة نهج البلاغة وأهميتها، ويؤكد على سؤال قد يتطرق إلى ذهن القارئ عند قراءته الكتاب وهو لماذا الحديث فى نهج البلاغة يكتنفه الغموض لهذه الدرجة؟ ولماذا لم يذكر الطلاب المسلمون فى دراساتهم ودروسهم البحثية هذا الكتاب (Waris, 1979 - B: 224).

۱. أنواع الشكاكين فى نهج البلاغة

يتحدث عن سبعة آراء تشكك فى أصالة نهج البلاغة، تبناها علماء من الشرق والغرب، كما يلى فمنهم من:

أ) يشكك فى بعض النظريات الواردة فى الكتاب

يشكك فى الكتاب بسبب اللغة المستخدمة والمصطلحات الواردة فيه.

ج) يشكك فى جامع الكتاب، وعملية جمعه؛ ينسبه البعض إلى الشريف الرضى، وبعض آخر إلى أخيه سيد مرتضى.

د) يقوم بنقد بعض العبارات التى تمسّ بعض الصحابة، ويشكك فيها.

هـ) يرفض بعض موضوعات الكتاب التى تعارض الصورة التى رسمت عن الإمام (ع)

و) هناك من يشكك في العبارات الواردة في الكتاب،

التى تحقر فئات خاصة من الناس منهم النساء.

ز) يشكك فى الكتاب كله أو جزء منه، من ناحية التوثيق (Ibid: 25).

يذهب وارث بأن مصدر كل تلك الشكوك التى تدور حول نهج البلاغة، خرجت أول مرة على لسان ابن خلكان[١٤] (٦٠٨-٦٨١ هـ) فى كتابه وفيات الأعيان، إذ أثار علامة استفهام حول الكتاب كله، ونسبه إلى السيد مرتضى: «قيل أنّ هذا الكتاب ليس مجموعة أحاديث للإمام على (ع) بل أنّ من قام بجمعه ونسبه إليه، هو من ألّف الكتاب ودوّنه (Ibid: 26 - 27).

قام الذهبى بتقوية هذه النظرية فى القرن الثامن هـ (٦٧٣-٧٥٨ هـ)[١٥] من خلال إضافة بعض النظريات والعبارات، هذا وشكك عالم معاصر للذهبى وهو ابن تيمية[١٦] (٦٦١-٧٢٨ هـ) والذي كان له مكانة علمية ودينية فى عصره- فى أجزاء من نهج البلاغة، وأشار إلى قضايا تشكك فى الكتاب أكثر مما سواها، منها ضعف الكتاب بسبب غياب سلسلة الوثائق (Ibid:27 - 29) فى الجانب الآخر رفض ابن خلكان الكتاب كله، لكن الذهبى استفاد من عبارة «أكثره باطل» (Ibid:32-33) وفقا لما ذهب إليه الصفدي[١٧] (٦٩٧-٧٦٤ هـ) لايشكك ابن تيمية فى نهج البلاغة كلها، بل يذهب إلى أنّ بعض أجزاءه صحيحة وينسبها إلى الإمام على (ع) (Ibid:35).

ثم يشير وارث فى الجزء اللاحق إلى فئة من العلماء والباحثين ظهروا فى السنوات الماضية، ويؤكد أنهم يتبعون ابن خلكان فى الجانب النقدي، ويبحث فى آراءهم كلهم، منها آراء هارت[1] وجيب[2] (Ibid:45 - 47) ومنهم من يشكك فى قسم منه مثل أحمد أمين (Ibid:48 - 50) وصفا خلوصى[3] وجميل سلطان،[4] فإنهم يتبنّون تلك النظريات التى تبناها كلٌّ من ابن تيمية والذهبي.

٢.مواجهة الشارحين مع المشكّكين فى أصالة نهجالبلاغة

لا تغيب عن «وارث حسن» نظرة شارحى نهج البلاغة، وأشار إلى مختلف الشروح التي كتبت حول نهج البلاغة، مصرحا أنه بعد عام ٤٠٠ هـ كان الشيعة يرون أنّ هذا الكتاب يتضمن أحاديث الإمام على (ع) بلا شك، ويؤكد الشارحون الذين لايتجاوز عددهم المائة، على أنّ كل العبارات الواردة فى نهج البلاغة، وردت على لسان الإمام (ع) ، وهو مَن نطق بها. ثم يشير إلى ما تحدث عنه ابن أبى الحديد بصفته أحد شارحى القرآن الشهيرة، وبالرغم من كونه لاينتمى إلى الشيعة، إلا أنه يؤكد على صحة انتساب الكتاب إلى الإمام (ع) ويرى أنه يؤمن بصحة الكتاب وانتسابه إلى الإمام (Ibid: chapter II 59ff).

فالكاتب يتحدث خلال هذا الفصل عن نظريتين جوهريتين: الأولى؛ تلك النظرية التى تذهب إلى أنّ نهج البلاغة مرفوض تماما، كله أو أغلبه، فالذين تبنّوا هذه النظرية هم علماء سوريون (Ibid: 25) ومنهم عراقيون أو مصريون (Ibid:48 - 58) فى القرون الوسطى، وبعض من العلماء فى السنوات المنصرمة (Ibid:45) والنظرية الثانية تذهب إلى أنّ كل الكتاب أو جزءا كبيرا منه صحيح لاغبار عليه، وأنّ الأحاديث وردت على لسان الإمام (ع) ، ومن الذين تبنّوا هذه النظرية محمد عبده وكثير من الشارحين وعلماء نهج البلاغة (الشيعة منهم أو غير الشيعة) يقولون بهذا الرأي ويؤكدون على صحة انتساب الكتاب كله إلى الإمام على (ع)، هذا واتخذ أحمد أمين طريقا وسطا بين الاثنين (Ibid:chapter II).

٣.تأريخ تدوين نهج البلاغة

يقدم الكاتب أدلته التى يذهب من خلالها أنّ نهج البلاغة هى أحاديث وخطب ورسائل الإمام فى الفصل الثالث، ويقوي من أدلته عبر تقديم الأمثلة المختلفة، ويتطرق بداية إلى المصادر الروائية لنهج البلاغة، التى كانت لها حضورها قبل تدوين نهج البلاغة، ثم يعتبر أنّ غياب ذكر المصادر أو عدم ذكر سيد رضى لمصادر الروايات، قد شكل ذريعة لبعض العلماء منهم ابن تيمية، فى اعتبارهم الكتاب مزوّرا أو ضعيف السند، ويرى بأنه نظرا إلى وجود أصل الروايات فى الكتب السابقة، يصبح من الضروري معرفة المصادر كلها (Ibid:69) لهذا باتخاذه أسلوب تدوين تأريخ الروايات والنظرة إلى الكتب والمصادر الأولية الروائية، يحاول إثبات مصادر الخطب والرسائل والحكم الواردة في نهج البلاغة. تنقسم

1. Clement Huart
2. H. A. R. Gibb
3. Kholusi, S. "The Authenticity of Nahj al-Balagha"
4. Sultan, J. *Etude sur Nahj al-Balagha*

تلك المصادر إلى ثلاثة أقسام من كتب الأدب العربى: الكتب التأريخية وكتب البلاغة، وكتب ذات صلة بهيكلة آثار الشيعة الروائية (الأصول) من ضمن تلك المصادر التى درسها محمد وارث، واستخرجت منها روايات نهج البلاغة، هى كتاب سليم بن قيس (ت ٩٠ هـ) ولوط بن يحيى أو أبو مخنف (ت ١٧٠ هـ) (Ibid: 73-78) وقعة الصفين لنصر بن مزاحم (ت ٢١٢ هـ) (Ibid: 78-90) البيان والتبيين للجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) (Ibid: 126 - 128) انساب الأشراف للبلاذري (ت ٢٧٩ هـ) (Ibid:90 - 97) أخبار الطوال للدينوري (ت ٢٨٢ هـ) (Ibid:97 -100) تأريخ اليعقوبى (ت ٢٨٤ هـ) (Ibid:100 - 102)، تأريخ الطبري (ت ٣١٠ هـ) (Ibid:101 - 110)، الفتوح لأحمد بن أعثم الكوفى (ت ٣١٤ هـ) (Ibid:111 - 114)، الكافى فى الحديث للكلينى (ت ٣٢٨) (Ibid:115 - 124)، مروج الذهب للمسعودي (ت ٣٤٥ هـ) (Ibid:124 - 126) كتاب الإرشاد للشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ) (Ibid:128 - 137)، وكتاب الجمل للشيخ مفيد (ت ٤١٣ هـ) (Ibid:137 - 138).

يقارن وارث حسن بين المفردات الواردة فى الروايات وبين العبارات الواردة فى المصدر الذي يخضعه للدراسة والتحليل، ويقدم فى نهاية كل قسم فهرسا أو جدولا من العبارات المماثلة فى كتاب نهج البلاغة والمصدر الخاضع للدراسة، حتى يقدم بهذا التأريخ الدقيق والصحيح لتدوين الروايات الواردة فى نهج البلاغة. على سبيل المثال، يذكر كتاب سليم بن قيس ٩ انواع (Ibid:73) من الروايات أو العبارات المماثلة فى فهرس منفصل، وفيما يتعلق بكتاب وقعة الصفين لنصر بن مزاحم٢٦ حالة مماثلة (Ibid:87 - 90).

هذا وإن الدراسة لم تثبت أنّ كل تلك العبارات والكلمات الواردة فى نهج البلاغة جاءت على لسان الإمام على (ع)، بل تنتهى إلى إثبات النظرية القائلة بأنه علينا الاعتماد على سيد رضى (رح)، أو نذهب إلى أنه فيما يتعلق بالخطب أو بعض منها، علينا القول بأنها أكثر بكثير مما نقلها السيد رضى (رح)، وهذا يكفى للاعتماد على هذا الكتاب الشريف والروايات الواردة فيه. ولا يخفى مع أنّ بعض الخطب وردت فى كتب قاضى القضائى (ت ٤٥٤ هـ) على بن محمد بن شاكر (ت ٤٥٧ هـ) والعامدي (ت ٥٥٠ هـ) وسبط بن الجوزي (ت ٦٥٤ هـ)، لكن بما أنّ كل تلك الآثار كتبت بعد نهج البلاغة، لهذا لايمكن أن تكون أدلة مناسبة لإثبات انتسابها إلى الإمام علي (ع) (Ibid:246)

٤. الشقشقية، محور اهتمام المشكِّكين

بعد البحث عن تأريخ نهج البلاغة فى هذا الفصل، يتحدث وارث حسن فى ختام الفصل عن عدد من خطب الإمام ورسائله التى تتمتع بأهمية ومكانة خاصة بإسهاب، منها حول الخطبة الشقشقية، إذ يفرد لها مقالا خاصا، ذلك يرى بأنّ هذه الخطبة من الخطب المهمة التى ناقشها العلماء، وينقل كلاما للذهبى حول هذه الخطبة، إذ خرج بنتيجة مفادها أنّ مثل هذه العبارة لم يتفوّه بها الإمام (ع)، هنا يشير إلى حديث ابن تيمية والآخرين، ولهذا يرى أنّ التطرق إليها على حدة يُعَدُّ أمرا ضروريا ومهما، (Ibid:139) هذا ويقوم بدراسة رسالة الإمام إلى مالك الاشتر لنخعى (رسالة ٥٣ نهج البلاغة) وينقل ما ورد على لسان العلماء والشارحين فى هذا المجال (Waris, Ibid:152 - 165).

إنّ محمد وارث نظرا إلى القضايا التى تحدث عنها الإمام(ع) فى الخطبة الثالثة حول الخلفاء الثلاثة، وصف السمات الشخصية لكل منهم كما تحدث عن سمات الناس فى تلك الفترة، وأشار إلى مكانته بالنسبة للخلافة، وقارن بينه وبين الخلفاء السابقين علما ومكانة، وتحدث عن الأدلة الكامنة وراء قبوله بالخلافة. يرى وارث بأنّ فحوى ما ورد فى الخطبة، وضع المشكِّكين فى نهج البلاغة فى بوتقة نقد، لأنه يمثل تحديا حقيقيا للأسس والمبادئ التى يؤمن بها علماء أهل السنة، واحتج الإمام (ع) على سلوكهم، وقبّحها. فهو يرى أنّ الشكاكين فى هذا الجانب شككوا فى ذلك الجزء من نهج البلاغة التى يستنبط منها مثل هذا الفحوى وتلك الرسالة، ويدخلهم نقاشا حادا، ولا يرفضون الأجزاء الأخرى بصريح العبارة.

٥. شكوك مقبولة

بعدما يتحدث عن تأريخ تدوين نهج البلاغة معتمدا على المصادر التى كُتِبَت قبله، يرى وارث حسن أنّ الطابع الثالث لهذه الدراسة يتجلى فى دراسته تلك الفئة من العبارات التى يمكن القول بصراحة بأنها مزوّرة، وتنقسم إلى قسمين:

القسم الأول ينطوي على تلك الأحاديث التى وردت فى المصادر الروائية واللغوية في القرن الثالث حتى الثاني عشر،

(منها: آثار الأصمعى (ت ٢١٣ هـ) والمبرد (ت ٢٨٥ هـ) والجوهري (ت ٤٠٦ هـ) ولم تستخدم فى عصر الإمام (ع)، أو بعض المصطلحات الفلسفية ومصطلحات أخرى، التى لم تورد لافى القرآن ولا فى الأدب ولا فى الكتب فى تلك الفترة (Ibid:246 - 247; Ibid:chapter IV).

أما القسم الثانى فهو يعود إلى المقارنة بين القرآن الكريم ونهج البلاغة،[١٨] هذا ويذهب ابن أبى الحديد أنّ كل ما ورد فى نهج البلاغة صحيح، ولا غبار عليه، لكن يرى محمد وارث أنّ بعض العبارات الواردة فى الكتاب ليست للإمام على (ع) يقول ابن أبى الحديد: إنّ التمييز بين القائل والكاتب يتجلى فى اثنين: أولا فى المفردات التى يستخدمها، ثم فى مجموعة المفردات التى تستخدم فى إطار الجملة. ويصرح: إنّ نهج البلاغة مأخوذة من القرآن الكريم (Ibid:228 - 229) لكن وارث حسن نظرا إلى اخذ تلك الحقيقة بعين الاعتبار التى تقول إنّ القرآن الكريم إلى جانب النصوص الجاهلية هو النص الوحيد الذي بقى بعيدا عن التحريف والتغيير ولا يجوز مقارنة نهج البلاغة معه، لهذا استخرج عدة عبارات ومفردات من نهج البلاغة التى لم تكن متناسقة مع الآيات والعبارات القرآنية ولا تتبع ذلك الأسلوب والسياق. إنّ النتيجة التى يستنبطها تفيد أنّ تلك العبارات بسبب تناقضها مع أسلوب القرآن الكريم، يغلب الظن بأنه للإمام على (ع)، وعلينا مناقشتها كثيرا والبحث فى ثناياها (Ibid: 232).

فى هذا الجزء يستشهد بمفردات وعبارات، منها السلعة (وردت فى الخطبة ١٤٣) لكن ورد فى القرآن مفردة متاع، بمعنى الجارة والسلعة. وردت متاع فى القرآن ٢٩ مرة (Ibid:234) لو افترضنا أنّ مفردة السلعة كانت تستخدم فى عهد الإمام على (ع)، حتى أنه استخدمه فى ٦ خطب،[١٩] فلابد أن تُستَخدَم مرة واحدة فى القرآن الكريم حتى فى جانب استخدام المفردات المختلفة المرادفة (Waris, 1979 B: 234-) أما المفردات والعبارات الأخرى التى استخدمها هى الحوائج (فى الخطب ١٠١ و٣٧٢ و٥١) (- Ibid:234 235) والجبرية (وردت فى خطبة ١٦٧) المعروفة بالخطبة القاصعة (Ibid:235 - 238)، وتزعزت سواري اليقين (فى الخطبة الثانية) (Ibid:٢٣٨-٢٣٩)، والطخية (فى الخطبة الثالثة) (Ibid:239)، وسجيس الليالي (في الخطبة ٣٣) (Ibid)، واللقم (فى الخطبة ٥٥) (250 - 239 :Ibid)، والزبرة (فى الخطبة ٨٠) وقضايا حول الخطبة ٨٧ (المعروفة بخطبة الأشباح) (243 - Ibid:240) إنّ تلك الأمثلة والشواهد تبين أنه لايمكن الادعاء بأنّ نهج البلاغة صحيح تماما، بل يبدو أنّ الخطب خضعت فيما بعد لإعادة النظر والتنقيح على يد الكتاب. هذا وأنّ السيد رضى (رح) هو المسؤول عن هذا التغيير (Ibid: 243).

٦ .الخطب، وثيقة الصحة

أما ذلك القسم الذي أُثبِتَ أنّه كلام الإمام على (ع) يمكن البرهنة عليه بدليل قوي آخر. إنه قسم خطب نهج البلاغة، والشاهد هنا هو أهمية قضية الخطابة فى الأدب الجاهلى إضافة إلى نثر تلك الفترة، وتأييد الإسلام لهما، ودور الخطبة فى الدول الإسلامية، وإكمال هذا الدور على يد الأجيال التالية. يشير وارث فى هذا القسم إلى أحاديث بعض الشكاكين منهم خلوصى (Ibid:chapter II) الذين اعتبروا السجع وأمثاله فى خطب الإمام (ع) تعارض صحة انتساب نهج البلاغة إلى الإمام (ع) ويأتى بأمثلة كثيرة ردا على هذه النظرية. فهو يستند إلى السجع فى النثر الجاهلى وفى كلمات الخطباء والكهنة فى تلك الفترة، بصفتها الهيكلة الرئيسية للخطاب الأدبى فى تلك الفترة، ويستنتج أنّ كلام أمثال خلوصى فى هذا المجال القاضية بعدم صحة نهج البلاغة، لاأساس لها، (Ibid:Chapter IV) وأنه يستند على الأشعار الجاهلية والنثر فى تلك الفترة، ويرى أنّ هناك أدلة حول القافية (النظم والنثر) فى كلام الإمام فى نهج البلاغة، وهى كثيرة لدرجة لايمكن القول أنّ شخصًا ما قالها تقليدا من الأدب الجاهلى (Ibid:183).

فى قسم آخر من هذا الفصل يتطرق إلى نماذج أخرى من عبارات القرآن الكريم، ويقارنها بعبارات من نهج البلاغة، ويرى أنّ مثل هذه التشابهات تساعد كثيرا على التأكد من صحة ما ورد فى الكتاب وانتسابه إلى عصر نزول القرآن، ويقول: لو نظرنا إلى نص نهج البلاغة، لرأينا تأثُّر نهج البلاغة من القرآن الكريم. هناك الكثير من الأمثلة من المفردات أو الفحوى الكلامى (فى جانب المعنى والمفهوم) التى أخذت مباشرة من القرآن الكريم. إضافة إلى الآيات والعبارات التى نقلت مباشرة من القرآن الكريم (Ibid) يشير وراث حسن إلى

الحالات التسعة من العبارات والمفردات البارزة فى القرآن التى وردت فى نهج البلاغة بلا تغيير. ويقول: إنّ تلك الإشارات الصريحة تؤدي إلى تقوية نظرية صحة نهج البلاغة روائيا أكثر من ذي قبل (Ibid:183 - 190).

۷.البنية الأدبية والبلاغية لنهج البلاغة

يتحدث الفصل الأخير من هذه الرسالة عن قضية معرفة بنية نهج البلاغة التى اعتمدت فيها البنية الأدبية والبلاغية أكثر مما سواها، يذهب وارث أنّه يجب الاهتمام بذلك الجزء من نهج البلاغة الذي يبدو أنّ لسيد الرضى الدور البارز بصفته مؤلِّفا للكتاب، فهو يرى أنّ السيد الرضى نظرا إلى مكانته فى البلاغة ومعرفته التامة بالأدب العربى، حاول أن يغير بعض العبارات والمفردات كما كان يحلو له. يرى وارث أنّ السيد الرضى لعب دور المنقح فى هذا المجال، فقام بتغيير بعض المفردات حتى يزيدها رونقا ويضفى عليها جانبا بلاغيا، على سبيل المثال مفردة اللقم فى الخطبة ٥٥، يغلب الظن أنه غيّرها، ذلك أنّ العبارة التى وردت فى كتاب نصر بن مزاحم، هى «على أمض الألم»، وأنّ هذه العبارة الثانية تتناسق مع سياق ونص كلام الإمام كثيرا.

تبين الدراسات التى تحدث عنها فى الفصل الثانى أنّ من نظروا إلى نهج البلاغة بعين الريبة سواء فى القرون الوسطى أو المعاصرين، فإنّ أكثرهم يعترفون بصحة أجزاء غير محددة من نهج البلاغة، هذا وأنّ المعارضين لهم، يشيرون إلى أجزاء محددة منه فى جانب الفحوى، على سبيل المثال يركز الذهبى وابن تيمية على صحة الخطبة الثالثة، وفى الواقع أنّ الرسالة كانت تريد أن تبحث عن معرفة تلك الأجزاء من نهج البلاغة الصحيحة وإذا كانت بعض الخطب مثل الثالثة محل النقاش فإنّه قام بدراستها على حده.

الخاتمة

يمكن القول بشكل عام أنّ الأثر التحليلى والوصفى والانتقادي الذي ألّفه محمد وارث حول نهج البلاغة، قبل ما يقارب أربعة عقود، وفى فترة لم يكن للدراسات الجيدة والتخصصية أثر فى هذا المجال، وخاصة فى المراكز العلمية والجامعية الغربية، جعلت هذا الكتاب والكتب الحديثية الشيعية الأخرى، تدخل حيّز اهتمام العلماء والباحثين. كتب وارث كتابه وسط أجواء العالم الغربى إذ واجهت ثورة شيعية وحديثة وشعبية ودينية مستقلة فى إطار مؤسسة سياسية وحكومية فى الشرق، ولا يخفى أنّه لم يكن أحد يولِّى اهتماما بالشيعة ولم تكن فى بؤرة اهتمام آراء الغربيين، والمؤسسات الغربية، لكن ظهور الثورة الإسلامية، ومواجهة بعض الدول الغربية معها، جعل اهتمامهم بهذه الفرقة السياسية الإسلامية يشهد تغييرا خاصا، ومن هنا يأتى تأليف هذا البحث ويمكن أن يُعَدَّ منعطفا أو على أقل تقدير مصدرا مهمّا فى دراسات المستشرقين حول نهج البلاغة وأدب الشيعة التقليدي.

من جهة أخرى تُعَدُّ دراسة رسالة حسن وارث مفيدة وتفتح الكثير من الأبواب بوجه الباحثين الغربيين بل الشيعة والمسلمين الباحثين فى هذا المجال، فهو فى تأليفه يهدف أن يبرهن على أحقية الخطب وأحاديث الإمام (ع) وأن يردّ على شبهات المستشرقين وبعض علماء الإسلام حول عدم انتساب الكتاب إلى الإمام (ع)، والقول بتزوير كل الكتاب أو جزءا منه، وأن يقدم القضايا مرفّقة بذكر نماذج ملموسة من نهج البلاغة وآراء مختلف المفكرين، وذكر المصادر التأريخية والمهمة. تأتى مساعيه جديرة بالاحترام والتبجيل بغية رفع الشبهات والرد على سبعة أصناف من المشككين، الذين يشير إليهم بداية الفصل الأول.

من المساعى الحميدة التى قام بها محمد وارث فى تأليفه العلمى الثمين، هو تدوين تأريخ نهج البلاغة، قضية ليس لها تأريخ طويل منذ أن دخلت حقل الحديث والقرآن الكريم[۲۰] أنّ هذا الأمر ورد بصورة عابرة من خلال كتابات بعضهم مثل جليو، فهو يعترف أنّ هناك الكثير لابد من القيام به، ولم يتفق الجميع عليه.[۲۱] يبدو أنّ هذا البحث (تدوين تأريخ الروايات) لو تعرض إلى الدراسة والبحث كما ينبغى، سيظهر أصالة الحديث الشيعى فى أبحاث المستشرقين أكثر من ذي قبل. لهذا يأتى ما قام به محمد وارث بصفته أول مَن ركز الاهتمام على تدوين تأريخ الروايات، من منظار كتاب روائى مهم فى الشيعة، فتعد كتابة تأريخ تدوين نهج البلاغة، عملا جديرا بالاهتمام.

وأخيرا إنّ كتابة مصادر الروايات الواردة فى نهج البلاغة، وخاصة الخطب، بالاستعانة من الكتب التأريخية والروائية

السابقة عليها، وبالنظر إلى المفردات والعبارات الواردة فى نهج البلاغة، ومقارنتها مع المصادر السابقة عليها، وخاصة مصادر العهد الجاهلى، ومقارنتها مع نص القرآن الكريم مقارنة دقيقة، تعد من المساعى الثمينة التى قام بها، مع أنه فى يومنا هذا اهتم الكثير من باحثى الشيعة بهذا الأمر المهم، وألفوا كتبا ثمينة فى هذا المجال، لكن تأتى مساعى محمد وارث بصفتها أول المساعى المنجّزة فى الأوساط العليمة الغربية، وفى فترة لم نر أي كتاب فى هذا المجال، فهذا الأمر يزيد من قيمة عمله.

هذا وإنّ وارث يشكك فى انتساب نهج البلاغة كلها إلى الإمام (ع) ويرى أنّ بعض العبارات والمفاهيم والمفردات الواردة فى تلك الفترة، لم تستخدم فى عهد الإمام (ع) وهى من تأليف كتاب منقحين فى العصور التالية، وللسيد الرضى دور بارز فى هذا الأمر. إنه فى هذا القسم يشير إلى بعض العبارات والمفاهيم والمفردات التى وردت فى الكتب المؤلفة فى العصور التى تلت عصر الإمام (ع) وعدم ورودها فى نص القرآن الكريم، بصفته النص التقليدي المصان من التحريف، والمتبقي من عهد الإمام (ع) ويقوي نظريته بإسهاب.

الهوامش

١. جامعة أدينبورج إسكتلندا، قسم الدراسات العربية والإسلامية.

٢. هذه المقالة تأتى ضمن مجموعة من أبحاث مؤتمر التشيع والمقاومة والثورة لجامعة تل أبيب الذي أقيم عام ١٩٨٤.

٣. IgnácGoldziher عُدَّ أبًا للدراسات الإسلامية (والدراسات الشيعية) الأكاديمية فى الغرب (تقى زادة، ٢٠٠٧: المقدمة، ١٢).

٤. Theodor Nöldeke من أبرز المستشرقين الألمانيين ومن مترجمى القرآن للغة الألمانية، ألّف كتاب تأريخ القران الشهير.

٥. هناك فهرسا مسهبا حول الدراسات التى نشرت بعد انتصار الثورة الإسلامية حول التشيع (حسينى، ١٣٨٨).

٦. ٨٧ - ٨٨.

٧. باحث إيرانى فى حقل الفلسفة وأستاذ جامعة كولن الألمانية، ولمكتبته حول الدراسات الشيعية، صيت عالمى.

٨. باحث إيرانى يعمل فى مؤسسة الدراسات الإسماعيلية فى لندن.

٩. حول تأريخ الكتب والأفكار الغربية الدائرة حول الإمام على(ع) وأحاديثه أنجزت أبحاث كثيرة، يمكن للقراء المراجعة اليها: فالحي (٢٠٠٥)؛غضنفري (٢٠١٥)؛ أحمدوند (٢٠٠٩)

١٠. ادوارد بوكاك (١٦٩٢-١٦٤٠ م) بريطانى ولد فى يوركشر (للمزيد عنه انظر مجموعة المؤلفين والمترجمين ٢٠١٠: ٣ / ٢١٣؛ غنفضري ٢٠١٥).

١١. لمعرفة ببلوجغرافيا تلك المجموعات والكتب ذات الصلة بها (صادقى رشاد،٢٠١٠؛ الفهداوي، ٢٠١٤: ٣٤٠).

١٢. للمزيد عن تلك الأبحاث انظر حسن‌نيا (٢٠١٧: ٦ – ب) ولقراءة بحث مسهب حول المسار التأريخى والتطوري للكتب الغربية حول حديث الشيعة (حسن‌نيا،٢٠١٦: قسم ألف ٣-١).

١٣. قد يتبادر هذا السؤال إلى ذهن القاري وهو لماذا صنفنا وارث حسن وهو مسلم شيعى وشرقى ضمن المستشرقين؟

ان ما يمكن الخروج بها بصفتها ملتقى للتعريفات المختلفة، هو ان الاستشراق هو معرفة الشرق ودراسته على يد غير الشرقيين (يمكن العثور على مجموعة من تلك الأفكار فى اغلبية الأبحاث فى مجال الاستشراق (زمانى،٢٠١٠؛ناجى، ٢٠١١؛ شينى ميرزا، ٢٠٠٧؛ جديدي بناب، ٢٠٠١٥؛ الويري، ٢٠٠٣: ٨؛ أسعدي، ٢٠٠٣: ٢٥) وكذلك لمعرفة أفكار إدوارد سعيد (خالد سعيد، ٢٠١٤: الفصل الرابع؛ الاستشراق).

ان هذا المفهوم يختلف عما نعرفه اليوم، قليلا، ذلك ان بعض المستشرقين هم الشرقيون لكنهم على علم بالروح السائدة على الكتب الغربية حول الشرق، على هذا لو أردنا تقديم تعريفا دقيقا منه، جدير بنا أن نتحدث عن دافع الفرد وهدفه من دراسة الشرق، بدلا من القول بانه غربى أو شرقى، بعبارة اجل من الأفضل ان نقول ان الشرق هو تلك المنطقة الجغرافية الواقعة شرقا لكن الغرب لايشابه الشرق، ان الغربى أو المستشرق هو الذي درس الشرق لكنه ليس بالضرورة ان يسكن الغرب، وربما يسكن احدى الدول الغربية، ان دافع المستشرق مهما كان سلبيا أو إيجابيا، لكنه ما ان درس الحضارة والثقافة والتقاليد والقضايا الاجتماعية والسياسية والناس والادب كما تكونت فى الشرق، وسار على منهج الغربيين، فانه يكون مستشرقا بكل ما تحمله الكلمة من معنى.

نرى بان المستشرق هو ذلك الشخص الذي قام بدراسة الشرق أو منطقة أخرى، بالتناسق مع الغربيين وخاصة عندما يكون الإسلام والدول الإسلامية هى القضية المدروسة، أو كان قد تطرق إلى منطقة من الشرق تدين بالإسلام، لو قمنا بتحديد دراسة المستشرق فى إطار الإسلام أو التشييع، يمكن لهذه الدراسة ان تنطوي على الأراضى غير الشرقية لكنها مسلمة، لهذا يعتبر محمد وارث مستشرقا مع انه عاش فى الغرب لكنه درس الشيعة والحديث بأسلوب الغربيين.

هذه النقطة تتناسق مع أفكار اشخاص مثل موتسكى، الذي يرى بان الدراسات الغربيين أو غير المسلمين ليست تلك الدراسات التى تكون كلها غربية أو غير مسلمة، بل ان الموضوع هنا هو اتباعها الأساليب الغربية (موتسكى، ۱: ۲۰۱۱/الهامش ۱).

١٤. شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد.

١٥. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد.

١٦. تقى الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم.

١٧. صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي.

١٨. يأتى وارث بهذا البحث تحت عنوان الموروفولوجية الأدبية لنهج البلاغة فى الفصل الخامس، ونذكر هنا بسبب تناسق الموضوعات.

١٩. خطب ٣ (مرتان) ٢٤ و١٦و٣٣و٨٠ (مرتان)

٢٠. منها تأريخ القرآن لنولدكه (١٨٣٦-١٩٣٠) قام باعداده تلميذه شفالى.

٢١. يصرح جليو (٢٠١٥) أنّ إحدى النظريات القوية حول أصالة الأدب الحديثى الخاص بالشيعة (مقارنة بأهل السنة) يمكن العثور عليها فى تراث الشيعة المكتوب (لحسين مدرس طباطبائى) إنّ مجموعة المعلومات الواردة هناك تبين أنّ الحديث المنسوب إلى أئمة الشيعة، الذي يستمر حتى القرن التاسع، يواجه مشاكل أقل فيما يتعلق بتأريخية أحاديث الشيعة مقارنة بالأحاديث السنية (تدعى الأحاديث السنية أنها تعود إلى بداية تأريخ الإسلام).

المصادر

القرآن الكريم.

أحمدوند، عباس وسحر كاوندى (٢٠٠٩). *بحوث المستشرقين عن نهج البلاغة*، مجلة علوم الحديث. العدد ٣ - ٤. ٣٣٠ - ٣٤٣

أسعدي، مرتضى (٢٠٠٤). *الدراسات الإسلامية في الغرب الإنكليزي اللغة منذ البداية إلى مجلس الفاتيكان الثاني*. طهران: سمت

ألويرى (خندان)، محسن (٢٠٠٤). *دراسات اسلامى در غرب*. طهران: سمت. الطبعة الاولى

أميرخاني‌فراهاني، فاطمة (٢٠١٥). *التعرف على الإسلام وعلماء الإسلام*. العدد الرابع. من مجموعة معلومات لمستشار ثقافي. طهران: الهدى. الطبعة الاولى.

تقي‌زاده‌داوري، محمود (٢٠٠٧). *تصوير أئمة الشيعة دائرة المعارف الإسلامية (ترجمة ونقد)* قم: مؤسسة علم الشيعة. الطبعة الاولى.

جديدي‌بناب، علي (٢٠١٥). *تحليل ودراسة آثار المستشرقين عن التشيّع*. طهران: شبكة أنديشه.

حسن‌نيا، علي وعلي راد (٢٠١٦ب) .المستشرقون وحديث *الإمامية؛ تصنيف و تحليل البحوث*، مجلة علوم الحديث. السنة٢٠. العدد ٧٨. ٢٣ – ٥٩.

حسن‌نيا، علي (٢٠١٦الف). *تحليل انتقادي (حديث الشيعة من منظور المستشرقين)* أطروحة الدكتوراه. جامعة طهران (قسم فارابى).

حسيني، غلام إحياء (٢٠١٠). ميزات الدراسات الشيعية *الإسلامية في الغرب الإنكليزي اللغة*. تحقيق: محمد رضا باراني. مجموعة مقالات مؤتمر التشيع والمستشرقين، ١٨-٥٦. قم: مؤسسة انتشارات خاكريز. الطبعة الاولى.

خالد، سعيد وإدوارد سعيد (٢٠١٤). *منتقد علم الاستشراق: دراسة الفكر والميراث الفكري لإدوارد سعيد*. المترجم: حميدرضا صادقي. قم: الصحيفة. الطبعة الاولى.

راد، علي (٢٠١٥). *مهدوية في آثار المستشرقين.موسوعة الإمام المهدي (عج) على أساس القرآن، حديث وتاريخ* (محمد ري‌شهري) المترجم: المسعودي وعبدالهادي وزملاؤه سيدكاظم الطباطبائي وجمع من الدارسين. قم: مجمع القرآن والحديث (مؤسسة الطباعة ونشر دار الحديث) الطبعة الاولى.

زماني، محمدحسن (٢٠١٠). التعرف على الاستشراق *والإسلام، غربيان*. قم: نشر المصطفى الدولي. الطبعة الاولى.

سيدرضي، محمدبن حسين (٢٠١٠). *نهج البلاغة*. ترجمة: محمد دشتي. قم: مؤسسة أمير المؤمنين (ع) الدراسية، الطبعة الثمانية وأربعون.

شيني‌ميرزا، سهيلا (٢٠٠٧). المستشرقون والحديث؛ نقد ودراسة وجهات النظر لغولدتسيهر والمعرفة. طهران: نشر هستي‌نما. الطبعة الاولى.

صادقي‌رشاد، علي‌اكبر (٢٠٠٩). *علم الكتب والمراجع*. ج ١٢ من موسوعة الإمام علي (ع) قم: نشر المجمع الثقافي والفكر الإسلامي.

غضنفري، زيور (٢٠١٥). دراسة *المسير التاريخي لداراسات المشتشرقين الإنكليزيي اللغة عن نهج البلاغة*. الأطروحة المقدمة لنيل شهادة الماجستير. جامعة يزد.

فالحي، نورعلي (٢٠٠٥). *الإمام علي (ع) من منظور المستشرقين*. طهران: انس‌تک.

ثقافة المستشرقين: تراجم وعلم الكتب للمتعرفين على إيران والإسلام (٢٠١٠). طهران: مجمع العلوم الإنسانية الدراسي والدراسات الثقافية. الطبعه الأولى.

فلاطوري، عبد الجواد (١٩٧٢). *تحقيق عن العقائد وعلوم الشيعة. فى ذكرى العلامة الأمينى*. تحقيق: سيد جعفر شهيدي ومحمدرضا حكيمي. طهران: الشركة الإسهامية للأوفسيت.

الفهداوى، عمار (٢٠١٤). كلام أمير المؤمنين (ع) باختيار الثعالبى، دراسة الإمامة. العدد ٢ – ٣.

كليو، روبرت (٢٠١٥). *الدراسات الأخيرة في تأريخ التشيّع المتقدم*. ترجمة: مجيد منتظر مهدي. *دراسة الإمامة*. السنة الثالثة. العدد ١١. ٢٣٥ – ٢٦٢.

مدرّسي الطباطبائي، حسين (٢٠٠٨). *ميراث الشيعة المكتوب من القرون الثلاثة الأولى الهجرية*. ترجمة: علي قرائتي ورسول جعفريان. قم: مكتبة إيران وإسلام التخصصية، الطبعة الثانية.

موتسكي، هارالد (٢٠١١). الحديث الإسلامي، *المقامات وسير التطور*. تحقيق: مرتضى كريمي‌نيا. قم: دار الحديث.

ناجي، عبد الجبار (٢٠١١). *التشيع والإستشراق*. عرض نقدي مقارن لدراسات المستشرقين عن العقيدة الشيعية وأئمتها. بغداد وبيروت: المركز الأكاديمي للأبحاث، توزيع منشورات الجمل. الطبعة الأولى.

Chittick, William C (1987). *As-Sahifa Al-Kamilah Al-Sajjadiyya* [The palms of Islam], a Translation: Introduction. Qom: Foundation of Islamic Cultural Propagation in the World.

Daftary, Farhad and Miskinzoda, Gurdof (editors) (2013). The Study of Shi'i Islam: History, Theology and Law, (Shi'i heritage series) I.B. Tauris.

Kohlberg, Etan (1991). "The Evolution of the Shia", in: *Belief and Law in Imami Shi'ism*, Varisorum Reprints, Aldershot.

Kohlberg, Etan (1987). "Western Studies of Shi'a Islam", in Martin Kramer (ed.), *Shi'ism. Resistance and Revolution*. Boulder, Co: Westview Press.

Lecomte, Gérard (1970). Aspects de la literature du Hadīṯ chez les Imamites. In *Le shīīsmeimâmate*. Colleque de Strasbourg (6 - 9 mai 1968), Paris, pp. 91 -103.

Tabatabai, Allamah Sayyed Muhammad Husayn (1975). *Shi'ite Islam*. Translated and Edited by Seyyed Hossein Nasr, State University of New York Press.

Turabi, Rasheed (trans.) (2003). "Hazrat Ali's Famous Epistle to MalilAshtar, Governor of Egypt." *Ismaili Web*.

Waris Hassan, Syed Mohammad (1979 - A). "The Stylistic Analysis of Nahjulbalagha", in al-Serat, vol.5 (1), pp 7-20.

Waris Hassan, Syed Mohammad (1979 - B). *A critical Study of NAHJ AL-BALAGHA* [Thesis submitted for the degree of Doctor of Philosophy], the University of Edinburgh.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

اعتبارسنجی و تاریخ‌گذاری نهج‌البلاغه بر پایهٔ ادبیات و آموزه‌های بلاغی: مطالعهٔ تحلیلی اولین پژوهش نظام‌مند غرب دربارهٔ نهج‌البلاغه

علی حسن‌نیا*

چکیده

دراسات خاورشناسان در بارهٔ حدیث شیعه هم‌زمان با پیروزی انقلاب اسلامی ایران در ۱۹۷۹ م، به حوزه‌های تخصصی جدیدی وارد شد،که به ویژه در دو دههٔ اخیر، شامل دراسات گسترده‌ای در حدیث شیعهٔ و تحلیل و بررسی متون روایی آنان بوده است. پژوهش مفصّل **تحلیل انتقادی نهج البلاغه** به عنوان سرآغاز و نقطهٔ عطفی در دراسات انجام شده در موضوع نهج البلاغه در مراکز علمی غرب به شمار می‌رود، که با توجه به تلاش ارزشمند صورت‌گرفته در آن، در خور توجه و مداقّه پژوهش‌گران این عرصه است. ارائهٔ تاریخ‌گذاری مستند از نهج البلاغه، بازیأبی اسناد مغفول نهج البلاغه در متون کلاسیک و کهن عرب، واژه‌یأبی خطبه‌ها و نامه‌ها در اشعار و متون منثور جاهلی، مقایسهٔ تطبیقی میان واژه‌های قرآن کریم و نهج البلاغه، نقل و تحلیل آراء و نظرات علمای متقدم و متأخر، توجه به شبهات ایجاد شده پیرامون نهج البلاغه و تلاش برای پاسخ‌دهی به آن‌ها و بالاخره ارائهٔ نظام‌مند مباحث، به عنوان اولین تلاش‌ها در فضای علمی غرب در این حوزه، از جملهٔ موارد و نکات قابل توجه و ممتاز این اثر است. نوشتار حاضر می‌کوشد تا ضمن بازشماری مختصری از سیر تطورّی پژوهش‌های غربیان در حدیث شیعهٔ، این اثر را مورد مطالعه و تحلیل و سپس، به آن مقدار که اطالهٔ کلام صورت نگیرد، نقد و نظر قرار دهد.

واژگان کلیدی: اعتبارسنجی و تاریخ‌گذاری، خاورشناسان، نهج البلاغه، محمد وارث حسن، مطالعهٔ تحلیلی.

* استادیار گروه علوم قران و حدیث دانشگاه شاهد، ایران. (a.hasannia@shahed.ac.ir)